أثر التداخل الأجناسي على القصة القصيرة

• "الأمناء" كتب الناقد/

عبد الله محمد الوبر:

إن مقومات أي فن من فنون الأدب هي العلامات الفارقة التي تمنحه سمته، فيشار إليه بفن كذا....، ومنها الفنون السردية التي تمتاز بمقومات تتميز بها عن الفنون النثرية الأخرى علاوة على الفنون الشعرية، والقصة تقبل التطور والتفاعل محافظة على قوامها العام الذي يمنحها اسمها (قصة قصيرة) ملتزمة بما يمكن عدُّهُ أساسا للهوية القصصية.

لقد استفاد النص الأدبي عمومًا من فكرة التناص بوصفه تقنية جمالية حلت إشكالاً نقديًا عدَّلَ نظرة النقد القديم نحو ما كان يُسمَّى بالسرقات الأدبية، فسمح للمبدع أن يكون منتجًا للنص بخبرات أسلافه، فكيف للنص أن يسعى إلى الاستقلال بذاته مع كونه انتفع من غيره أو اقترض من جنس آخر؟ بمجرد أن خرج النص من أزمة نقدية وجد نفسه أمام حرية غير مقننة، تمثل أزمة نقدية جديدة، إنها شَرَك الانفتاح على الأجناس الأخرى!.

ليس هناك ما يمنع أو يحضر التفاعل مع الأجناس الأخرى بل لقد استفادت القصة من المشهد المسرحي والمشهد السينمائي، فالقصة رهن إشارة المبدع وطوع رؤيته وليس هناك ما يمنعها من أن تتطور أو تُحدث خرقًا في قوانين واشتراطات البناءَ الفني طالما أنَّ رؤى المبدعين تسلك مسلك التجديد وهي تراعي أسس الفن القصصي وأركانه بل إنَّ ذلك يُعد سمة لها. أما إذا تخلت عن الأركان الأساسية للقصة فإنها ستغادر الجنس القصصي إلى غيره، كون قضية الهوية تستوقفها وتطالبها بتحديد جنسها، هل لازالت قصة؟! أم أنَّ النص الأدبي يمكن له أن يتعالى على التجنيس؟!

لقد طفى على السطح طرح نقدي يقول : إن على الناقد أن ينظر إلى مكونات النصّ؛ فأي منها يغلب عليه يتم تجنيسه وفق ذلك.. وهذا الطرح يُضعف دور النقد ويمنح النص المشوه سلطة ترفعه فوق النقد متناسين أنَّ الظواهر الأدبية إنما هي نتاج تواتر إبداعي واع وليس حكمًا يطلق على الكتابات الشاذة التي حقها أن تنفث زفرة ميلادها وهي تنتظر احتضارها في ذات الآن.

كيف سيتعامل النص الأدبي مع القيود التي فرضتها التنظيرات النقدية السابقة التي تدعو إلى الالتزام بقواعد كل فن، وكذا ما يسمى بنظرية نقاء الأنواع؟ في حين يؤكد النقد حرية القاص وحقه في أن يتصرف في تشكيل أي ركن شاء من أركان النص، يمكن الإجابة على ذلك بأنَّ شأن القصة في ذلك شأن فن الرسم، فالرسام وهو يرسم لوحة للوجه مثلاً يمكنه أن يتصرف في توزيع أجزاء الوجه أو أحجام عناصر الوجه كما يشاء لكنه لن يتخلى عن المكونات الأساسية للوجه التي هي عند المتأمل المكونات الأساسية للصورة، وهذ لن يمنعه حقه في تكريس الرؤية وإبراز المكونات التي يراها في تشكل اللوحة، إذ أنَّ المكونات الأساسية للقصة هي أركانها وهي: الشخصيات والحدث والزمان والمكان واللغة مع اختلاف في نسبة التمثيل أو الحضور. ولقد ظهرت في الساحة القصصية أعمال ناشئة لا تأبه للمقومات القصصية، كما أن أعملا أخرى تعمدت التداخل مع غيرها من الفنون، ما ساعد على خفوت بعض السمات وتداخل بعضها بعد أن كانت السمات الخاصة بكل فن من الفنون الأدبية عموما والسردية خصوصا ظاهرة أو صارخة في عصر النهضة، وبذلك أضحى أدب القرن الحادي والعشرين متمردًا على القوانين والأسس بل إنَّ التداخل الأجناسي يعدُّ سمة بارزة له، وهو بذلك التوظيف قد يقوض نظرية نقاء الأنواع.

فالتداخل الأجناسي يُمثل إشكالا حقيقيا بل هو من القضايا النقدية البارزة التي يتناولها النقاد في عصرنا الراهن؛ كونهِ تجاوز التجريب والخرق ليصبح تحولًا تتواتر مظاهره وتتزايد نتاجاته، بل لقد فرض النص الأدبي مادته الجديدة لتصبح ظاهرة أدبية تتداولها المحافل من خلال الكثير من النصوص الروائية والقصصية، فمن خلال متابعتي لتلك الظاهرة ودراستي للفنون السردية الحديثة وتحديدًا القصة القصيرة والرواية وقفت على نصوص متداخلة الملامح، ففي الجانب الروائي برزت الروايات (السيرذاتية)، وفي جانب القصة القصيرة برزت القصة الصحفية أو الخبر القصصي، وهناك قصص قصيرة تغترف من معين المقالة وأخرى من معين الخاطرة، وثالثة من معين الشعر وقد شرع النقد بالتأصيل للرواية السيرذاتية والقصة الصحفية، فيما بيقت القصص التي ترتشف من مناهل أخرى تحت مجهر التحليل، وهي عرضة للمساءلة والمحاكمة النقدية إلى أن تثبت دوافعها وعوامل تشكلها وملاءمتها لاحتياج القرّاء وملامسة الذائقة العامة للجمهور، أو تتوارى عن الأنظار لعدم نجاعتها في كسب جمهور يستهويه أسلوبها. أما تفسير التداخل بين هذه الأجناس في رأيي فيمكن تأويله بافتراضين هما:

-1 عدم معرفة المبدعين بالحدود الأجناسية ومقومات كل فن من الفنون التي تداخل أحدهما في الآخر (القصة من جهة والمقالة أو الخاطرة أو الشعر من جهة أخرى).

-2 معرفة المبدعين لتلك المقومات والحدود، ومن ثم سعيهم إلى تجاوزها عمدًا مع سبق الإصرار من أجل توليد فنٍّ هجين أو جديد يستفيد من جماليات الفنون التي ينتمي إليها.

إنَّ كلي الافتراضين ماثل بقوة، حيث إنَّ كتاب القصة المبتدئين يغترفون من معين الفنون الأخرى ولا يأبهون لمقومات القصة، فهم قد اعتادوا كتابة الخاطرة مثلاً أو المقالة أو القصيدة ثم مالوا إلى كتابة القصة القصيرة بالموجِّهات التي اعتادوها من قبل وهذا يؤثر على جودة قصصهم، أما من سبق لهم التعامل مع الفنون المختلفة ومقوماتها كتابة أو اطلاعا فإنهم يستطيعون تطعيم نصوصهم بل يمزجون فيما بينها بكل ثقة واقتدار مصرحين بذلك الصنيع، بل إنَّ تصريحهم بذلك في ثنايا النص يعد في تقديري شرطًا أو ضرورة يمنح النص علامة مميزة ومعنى إضافيًا ويقدِّم للمتلقي ثقافة أدبية ونقدية يستطيع من خلالها التعامل مع النص قراءة وتحليلًا وتأويلًا.

ختامًا يمكن التأكيد على أن النقد والإبداع لا زالا يسلمان بأن الفنون الأدبية تنقسم إلى جنسين: فنون شعرية وفنون نثرية رغم استعارة كل واحد منهما من الآخر، مثال ذلك ميلاد قصيدة النثر والنثر الشعري، وأن النثر عمومًا والقصة خصوصًا تمر بمرحلة تطور شبيهة بما مرَّ بها الشعر في رحلة تطوره الحديثة، فالقصة وهي تستفيد من مكونات الشعر وغيره من الفنون الأدبية ترتقي منزلة تزيدها جمالًا ومكانة لا سيما في لغة النص، مع أن التداخل المرصود والتطور الحاصل قد بشر بميلاد فن قصصي جديد مثل القصة الصحفية والقصة الومضة ولا زال واعدا، وهو بذلك يشبه ميلاد قصيدة النثر إذ يسهم في تطور شكل القصة تبعًا لتطور مضمونها، وإن كان الشعر المنثور بحسب رأي الكثير من النقاد فقد بعضا من جماليات الشعر ومكانته فأطلقوا عليه القصيدة الخرساء، فإن القصة المتداخلة مع الشعر إنما تزداد جمالًا وتألقا.

مخاوف الفراق تلوح في الأفق

• مريم محمد الداحمة

وإن اخبرتك في احاديثنا اني بخير فلا تصدق ذلك فانا اعرف جيدا كيف ابتسم وسط البكاء ،وكيف اقول لك تصبح على خير ولا انام، واعرف جيدا كيف اخبئ المي وانت لا تعلم سوى أنني بخير .

أخشى كثيرا على نفسي من السكاكين الحادة المحاطة بي احاول جاهدة أن اعبر طريقي بسلام وابتعد عن العثرات التي أن اوقعتني ستغرس احد السكاكين الحادة في جوفي وأحدها ستقيد قدماي والآخر سيحاول انتزاع روحي ..منذ أن بدأت انضج وانا اجد نفسي وحيدة ، أحببت الوحدة واصبحت متيمة بها ولا اطيق الابتعاد عنها كثيرا..

لم يحتويني أحد سواها صنعت لنفسي في جوف تلك الوحدة اشخاص خياليون اخاطبهم امام مرآتي التي لا تفارقني اضحك معهم واقاسمهم فضلات طعامي اشكي لهم حزني ووجعي تسرقني عيني ومازالت عيناي تخاطب احدهم بالنظر في المرآة الموضوعة بجواري.. تسألني عن حالي؟

اخبرك بانني بخير ،الا تراني احادث الجميع وابتسم ،الا تراني اعطي الطمأنينة والنصح للعابرين بكل اتزان، لا ادري ماذا اقول لك ولكني سأقول لا تقلق ، انني احدثك بسكار فقط كون روحي متعبة ،ونظراتي شاردة ،وجسدي ذابل ،حتى ابتسامتي حائرة، وأسال الله فقط الثبات وتجاوز هذه المرحلة الاصعب على قلبي لم اواجه قط مرحلة في حياتي مثل ما أواجهها في الوقت الراهن ،

أخبرني يا عزيزي أن ما اشعر به هو اضغاث أحلام ومخاوف وستزول فأني ارى الحياة كسفينة تموج بي وتميل وأنت الشراع الذي استقيم به واتوازن..

فصدقني يا عزيزي أن لا شيء أكثر إيلاما من أن تنتابك الريبة من فقدان احد اصبح المعنى الحقيقي لليقين في حياتك ، ومن أن تتحول كل وجوه الأمان التي وهبك إياها إلى خوف ووحشة وظلمة من فقدانه..

همس الصباح

• د.محمد شوبان شوبان

إن سلامة الصدر، راحة للقلب، ودواء للجسد وغذاء للروح، وإن تتبع مساوئ الناس وزلاتهم سلوك غير حضاري يمقته الذوق السليم وتأباه النفس السوية، وهو ضياع للوقت ومفسدة للحياة وبه تأسن العلاقات ويعكر صفوها، ويرتكب صاحبه إثما وجرما في حق نفسه وغيره؛ ولربما اعتقد ذلك هينا وهو عند الله عظيم..

ولذا ينبغي أن نتجنب ما استطعنا البحث عن الجانب المظلم في حياة الآخرين وترصد أخطائهم، فلكل منا أخطاؤه ولكل منا جانب مظلم كالح السواد يكاد يخفيه حتى عن ذاته لو استطاع؛ فلا تشغل نفسك ولا تهدر وقتك فيما لا فائدة فيه من البحث عن مثالب الآخرين والاطلاع على أسرارهم لأن ذلك يفتح أبواب الشك ويجعل الظن السيء بالآخرين سيد الموقف وهو محرم شرعا: "ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا".

ألم الفراق

• صالح العطفي:

كل يوم أحتسي ألم الفراق ، وأعصر ألمي حروفا...

ترامت مساحات الفراق بيننا بحرا وبرا، فعجزت قواربي أن تدرك أملا يتلاشى كل مساء..

أنا يا سيدة الجمال إنسان أعصر خمر الحروف ، لكنها تقتلني، وتسكر الآخرين .

أجوف أنا الآن ، ويسكنني الخواء...

مشتاق لكن أجنحتي متكسرة ....

جذوة أنا الآن وفي كل صباح جديد رماد من العدم.

سيدة الجمال: حين تتوهج حروفي في قهوة الصباح، أدركي تماما أنني قد أهديتك كل اشتياقي .